بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾

سورة الحديد آية : ٢٧

محدثات الأمور

للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد

ترجمة إلى العربية :

دكتور مفتي محمد مكرم أحمد

أستاذ اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية نيو دلهي ١١٠٠٢٥

والإمام الملكي للمسجد الجامع فتحفوري الإمبراطوري دلهي (الهند)

سلسلة الاشاعة والنشر الدولي رقم ٥

قام بالطبع والإشاعة في باكستان :

مطبعة إدارة مسعودية ٢ / ٦، ٥ إى ناظم آباد كراتشي -

سندھ - إسلامي جمهورية باكستان

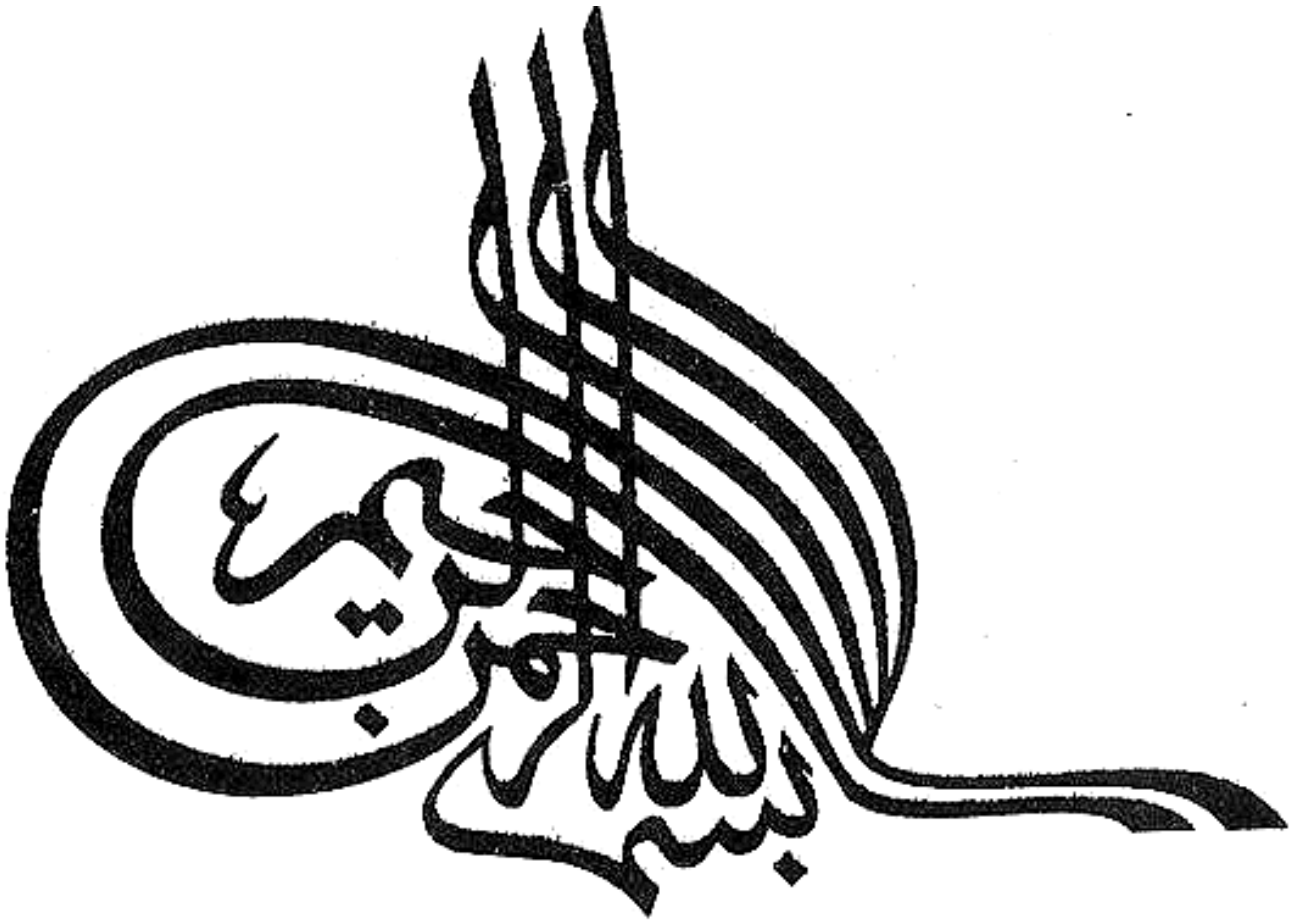
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله هو الغني ونحن فقراء "يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شان" (سورة الرحمن آية ٢٩) [١] فإن الله تقدس ذاته وتعالت صفاته يخبرنا عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق إليه فى جميع الآنات وأنهم يسألونه بلسان حالٍ وقالٍ فهو جل مجده كل يوم فى شأن، فأحيانا يجيب داعيا ويعطى سائلا ويشفى سقيما ويحي حيا ويميت ميتا ويربي صغيرا ويفك أسيرا وينجى مبتلى ويدبر الأمور لخلائقه كلها وهلم جرا هذا هو مفهوم "كل يوم هو فى شأن" عند المفسرين، وبما أن الإنسان لم يؤت من العلم إلا قليلا كيف يحيط بهذه الشئون علما وإدراكا وسمعا وبصرا – كذا الحال فى شأن سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم يبشره الله سبحانه وتعالى بأنه و"للآخرة خير لك من الأولى" (والضحى آية ٤) [٢] يترقى ويصعد من درجة إلى درجة أعلى وأرفع كل حين ولا يقف عند حد متجددا مترقٍ كل آن وحين ولكنه من يتكفل لهذه الآية الكريمة إصغاء إليها ويتأمل حتى ينظر بنظر الاعتبار ويشعر شعورا عاطفيا – أنظر أيها الأخ الكريم إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، أنه خلق نفس سيدنا ومولانا محمدٍ صلى الله عليه وسلم نورا من نوره منزهة مطهرة، اكمل النفوس على الإطلاق من الرسل والملائكة وأمد نفوس الرسل عليهم الصلاة والسلام من هذا النور المحمدي ولما كانت أنوارهم أفاضها الله تعالى عليهم من نور سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، كما هو صريح القرآن المجيد : وإذ أخذ الله ميثاق النبيين" إلى آخر الآية (آل عمران آية ٨١) [٣] فانظر أيها الأخ الكريم

كيف تتجدد رفعة النبي الكريم صلى الله وسلم ورحمة الله العلي العظيم على يد سيد المرسلين فانظر إلى النفس التى جعل الله لها الأرض بحراً لجيّا وانظر إلى النفس التى جعل الله لها النار روضة من رياض الجنة وإلى من جعل الله لها العصا ككلمة "كن" فجعلت البحر يبسا وصارت حية تسعى وتفجرت ينابيع الماء العذب من الحجر الصلد والتى منحها الله الكلمة فأحيت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص وخلقت من الطين كهيئة الطير وهلم جرا من عجائب الآيات وغرائب المعجزات وظهور الرحمة فى كل هذه المواقع بواسطة النور المحمدي الموجود المؤثر عند إظهار هذه الغرائب كما صرح به الحديث الشريف أن النور المحمدي كان مختفئا موجودا فى كل هذه المواقع مع كل الأنبياء والرسل حتى تجسدت هذه الروح القدسية التى هدى الله بها بعد الضلالة وجمع بها بعد التفرقة ونور بها بعد الظلمة واعز بها بعد الذل وقوّىٰ بها بعد الضعف، تناول أيها الأخ الكريم من صافي – هذا الشراب الطهور من القرآن الكريم كيف أقام الله سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم مقاما لم يقم قبله نبي مرسل ولا ملك مقرب وكيف لا ، وقد أقامه الله مقام نفسه قائلا "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول" وأخرى من الآيات الكريمة – أظهره الله تعالى رحمته المحيطة الواسعة على يد سيد المرسلين عليه صلواته فى شتى الألوان والمظاهر فترى الربيع يتدلل فى البستان ويتعرض عن الأزهار والأثمار متحلى بمزخرفات جذابة ويمتد هذا الربيع حتى يحتضن الكون والآفاق فترى كل شيء كائن بين السماء والأرض فى لون وكيفية وحال، تتلألأ النجوم وينظر البدر تارة إليها وتارة إلى كلفهٍ وهذا الليل المدلهم الذى خطف خطفة من نصيب العاشق الميؤوس المحروم وذلك البرق السنيّ الذى يكاد يذهب بالأبصار وهذا الصيب الساتر المتقاطر وذلك الوبل المتواتر وطل سريّ

وندى لطيف ورعد رهيب وإلى غير ذلك من المظاهر الطبيعية . ما هذا هل يا ترى؟ ليست هذه إلا نتيجة نفخة حارة حية خالدة من نفخات رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم التى جعلت كل جماد متحركا وكل حي متقدما وكل نشيط منشطا . ترى الآن قافلة الكون غادرا إلى منزل لا يعلم إلا من خلالِ عواطفهِ يتجدد من حال إلى حال وتكوّن هذه المظاهر عوالم النشاط واليقظة والحدوث والتجدد . تجد فى هذه القافلة المتقدمة أجيالا وأقوا ما وشعوبا وقبائل من شتى الأنواع والمذاهب والأذواق ومن القصور الشاهقة وأخرى ضعيفة البنيان من المباني والمساكن وقرى محصنة ومدن راقية وبلاد واسعة وآفاق جديدة واتجاهات حديثة – ملخص القول هذا العالم بأصله وفطرته يتجدد وبطبيعة خلقه مترق متجدد سواء أكان من عالم الحيوانات أو الجمادات أو عالم علوي أو سفلي . ولا ينبغى لأحد أن يعوق هذه المظاهر الطبيعية تقدمها الطبيعي فدعها تفيض بفيضاناتها ولا تسد السيل وحَوِّلوه إلى صراط الله الذى هدى به الله من أنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

إن الله هو خالقنا وربنا ويحبنا حبا لا يتصور حبا فوقه . إنه جل مجده يذكر من يذكره كما صرح به فى القرآن الكريم . "فاذكروني أذكركم"[٤] والذى يطيع حبيبه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه تقدس وتعالى شانه يحبه كما صرح به "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" [٥] والذى يشرى نفسه ابتغاء لمرضات الله تعالى فالله يخلده مجدا وذكرا "ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون" [٦] وكيف لا ، فإنه رحيم ودود كريم يراعى مرضيات أوليائه. كما هو صريح القرآن الكريم " قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة

ترضاها" [٧] هذا يعلن جهارا إن الله سبحانه وتعالى يحب حبا عظيما من يحبه ويفنى نفسه فى إبتغاء رضوانه فالله وليّهم" الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب" ويجزيه جزيل العطاء وعظيم الثواب [٨] استمع واصغ إلى ما يقول الله ويجهر به جهارا "ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون" [٩] يستنبط بالآية الكريمة المذكورة نقاط تالية .

١ – إن الإحداث فى الدين إذا كان ابتغاء لوجه الله فهو محمود.

٢ – رعاية المواظبة بالمستحدثات لمرضات الله.

٣ – وإنه يستحق المواظب على هذه المستحدثات الدينية للأجر والثواب.

يمكن من استنتاج أن البدع المخترعة من داعية النفس ويراد بها مرضات الله تعالى ليكون مؤيدا بالله وبرحمته الواسعة .

نعرض على سبيل المثال ثلاثة من الأحاديث النبوية الشريفة لكى يتسهل لنا الإدراك بما نحن فيه أي يراعى الله مرضات أحبائه وأوليائه.

١ – كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى كعبة الله كيف يشاء يؤمي إيماء ويتوجه حيثما شاء فاقترح عليه عمر أن يجعل مقام إبراهيم عليه السلام كمصلى له – أيد الله هذا الرأي حتى جاء فى القرآن الكريم "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" [١٠] .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يصلى فى مقام إبراهيم واستمرت الحالة على هذا المنوال إلى يومنا هذا فيقوم الإمام نفس المقام .

٢ - وإذا تأملنا في الصلوات المكتوبة وجدنا أن الأنبياء الكرام اتخذوا الصلواة كعبادات لهم ابتغاء لوجه الله من عند أنفسهم ما كتب الله عليهم فلما استمروا عليه كتب الله عليهم تلك . أول من أدّى الفجر هو سيدنا آدم عليه الصلوة والسلام والظهر بدأ به سيدنا إسماعيل عليه السلام أو سيدنا إسحاق عليه السلام والعصر ابتدعه سيدنا عزير عليه السلام والمغرب من قِبل سيدنا داوؤد عليه السلام والعشاء أول من أدى هو سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم [١١] أصبحت هذه الصلوات الخمسة كلها سنة النبي صلى الله عليه وسلم وكتبت على الأمة كالفرائض .

علم من هذا أن الأوامر التى تتعلق بالطاعات والمرضات تتجلّل بنسبة جلالة الأشخاص الذين ابتدعوه وتتعظم بنسبة عظمتهم عند الله تعالى.

٣ - روى زيد بن ثابت قال أرسل أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بِقُرّاء القرآن وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر رضي الله عنه كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٢] قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذى رأى عمر قال زيد قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فأجمعه فوالله لو كلفوني نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن . قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذى شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبعتُ القرآن، إلى آخر الحديث. (كتاب أبواب فضائل القرآن . باب جمع القرآن . بخاري ج ٢) [١٣] .

يدل الحديث على أن العمل الذى لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما منع عنه يجوز القيام به ابتغاء لوجه الله أو لمصالح الأمة وأمثال هذه الأعمال أجاز به القرآن الكريم ولذلك أكد الشيخان بيمين الله سيظل الكلام فى هذا الصدد مؤيدا بالأحاديث فى الصفحات الآتية إن شاء الله

استخدم القرآن الكريم كلمة التطوع معناه تكلف الطاعة وفى التعارف التبرع بما لا يلزم (المفردات فى غرائب القرآن للإمام، راغب الأصفهاني) وهناك آيتان تدل على تبجيل أمثال هذه الأعمال .

١ - ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم [١٤].

٢ - فمن تطوع خيرا فهو خير له [١٥]

يذكر القرآن الكريم الاطاعة والعصيان وينذر بالعقاب والثواب ويشير القرآن الكريم أن المؤمن الكامل يشعر بالقبائح والصالحات من الأمور ويستطيع التمييز بينهما وله خيار أن يختار ما شاء من صالحات الأعمال ويدعم هذا القول بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء إليه أعرابي وسأله عن الصلوة فأجاب رسول الله "الصلوات الخمسة المكتوبة وما تطوعت به " [١٦] رواية بالمعنى) .

وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم للتطوع بمعنى القيام بالأعمال الصالحة من عنده وبشر صلى الله عليه وسلم أصحابه الذين قاموا بأمثال هذه الأعمال .

١ - لم يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا بالنوافل بل أنه كان يعمل لابتغاء لوجه الله من عنده [١٧] .

٢ - صلى ركعتين سيدنا خباب رضى الله عنه حينما صلب ولم يأمره رسول الله عليه وسلم [١٨].

٣ – كان صحابيا يصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا عاد من الركوع "ربنا لك الحمد" وأضاف "حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه" . فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ من الصلاة من قائل هذه الكلمات فأجاب ذلك الصحابي أنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت يتبادر إلى هذه الكلمات بضع وثلاثين ملكا أيهم يكتبه[١٩] رواية بالمعنى.

٤ – كان الصحابة رضى الله عنهم فى الصلواة فقال أحد منهم وهو يتبادر إلى الصف الأول "الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبت إذا فتحت لهذه الكلمات أبواب السماء [٢٠] بالمعنى

٥ – كان صحابيا يصلى بالناس فى مسجد قباء وكان يقرأ سورة الإخلاص قبل كل سورة يقرأها فى صلواته فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه المواظبة على سورة الاخلاص فأجابه يا رسول الله! إني لأحبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبه يدخلك الجنة [٢١] رواية بالمعنى

٦ – أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من أصحابه كأمير على عسكره فكان يختم قرأءته بسورة الإخلاص إذا صلى بالناس فإذا رجع إلى المدينة ذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسألوه لماذا يفعل هكذا فإذا سأل عنه قال إنه صفة للرحمن فلذلك أحبه أن أقرأ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشره إن الله تعالى يحبه . [٢٢] رواية بالمعنى

٧ – عن أبي سعيد أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مروا بحيّ فى العرب فلم يقروهم ولم يضيفوهم فاشتكى سيدهم فأتونا فقالوا

هل عندكم دواء قلنا نعم ولكنكم لم تقرونا ولم تضيفونا فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا فجعلوا على ذلك قطيعا من غنم فجعل رجل منا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب فبرأ فلما أتينا النبي صلى الله عليه وسلم ذكرنا ذلك له قال ويدريك أنها رقية ولم يذكر نهيا منه وقال كلوا واضربوا لى معكم بسهم [٢٣] رواه الترمذي أبواب الطب.

٨ – وقرأ صحابي فاتحة الكتاب على مجنون مقيد فى القيود [٢٤].

٩ – وكان صحابي يقوم طوال الليل ويقرأ فى صلاته سورة الإخلاص حتى الفجر [٢٥] .

١٠ – بنى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مسجدا على موضع نزل به رسول الله صلى عليه وسلم عند عودته من غزوة تبوك[٢٦] كما بنوا مسجدا على مقام أصحاب الكهف [٢٧] .

هناك كثير من الأمثال فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية تدل على أن الله تعالى ورسوله لم ينه ولم ينكر على عمل عمل به عامة تطوعا من عنده ابتغاء لوجه الله تعالى وعلى العكس شجع عليه ويؤيد أمثال هذه الأعمال كما ذكر أعلاه . وبشر عليه بجزيل الثواب والأجر.

كل ما أسلفناه ذكرا يدخل تحت السنة النبوية لأن السنة كل أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحدا من أصحابه واستحبه رسول الله صلى عليه وسلم أو سكت عنه وقرره . هذا هو مفهوم السنة فى مصطلح الحديث . أما لغة فالسنة هى الطريق . استخدم القرآن الكريم كلمة السنة ومشتقاتها فى معنى الطريق فى عدة مواضع [٢٨] قال ابن تيمية السنة هى طريق يسلك به بالاستمرار أو مرارا. يقول "السنة هى عادة والطريق الذى يسلك فيه مستمرا مرة بعد مرة حتى يسع لمختلف الأنواع فى الناس ولم يعد من الطاعة والعبادة [٢٩] "كما استخدم النبي صلى الله عليه وسلم كلمة السنة

فى معنى الطريق كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سنّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء . (رواه مسلم كتاب الزكوة باب الحث على الصدقة) تكلم المحدثون فى هذا الحديث النبوي وفيه تفاصيل فليراجع إلى ما شرح به الإمام النووي فى شرح المسلم وكذا ابن الحجر فى الفتح الباري.

وفى حديث آخر : عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا [٣٠] رواه مسلم.

أما الهداية والضلالة فقد كشف الحجاب عنهما فى فاتحة الكتاب فالهداية إلى الصراط المستقيم فهو صراط من أنعم الله عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . أما طريق الضلالة فهو طريق المغضوب عليهم والضالين ومن البديهى أن الصلحاء أى الذى أنعم الله عليهم فمن المحال أن ينسلك مسلكا لا يرضى به الله ورسوله وعلى العكس قد أحب الله كل عمل عملوا به فلذلك حثّ الله الاحتذاء بحذوهم كما قال تعالى ترغيبا "إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" [٣١] .

ورد فى الحديث السنة الحسنة والسيئة كما مر وإذن نجدها فى القرآن الكريم [٣٢] نفس الشيء عبّر فى مصطلح القرآن الكريم بالخير والشر[٣٣] وأوضح الله إيضاحا جليّا أن كل شيء من الخير أو الشر يأتى به

المرء يكتب ويسجل "كراما كاتبين يكتبون ما يفعلون" وكما قال "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" (سورة ق) .

قال تعالى ذاته "إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه فى إمام مبين" [٣٤] (سورة يس١٢) .

ويعالج القرآن الكريم الخير والأعمال الصالحة فى نفس الخلفية. [٣٥] ويصرح أن الصالحين والقائمين بالأعمال الصالحة هم الأخيار والذين يكتسبون مآثم والعصيان هم شر الناس فالشر والخير مربوطان بالعمل خيرا وشرا.

ورد فى القرآن الكريم في ٥٤ موضعا فيما ذكر فيه للصالحات والأعمال الحسنة من الامكانيّة التقدير نظرًا إلى هذا العدد الضخم أن القرآن الكريم يشجع ويرغب لامثال هذه الأعمال الصالحة عمل بها عامله من عنده لمرضاة الله ولكن الأجر والثواب يترتب لمن أدان بدين الإسلام أما للجاحدين المعاندين فليس لهم إلا الحرمان فى الدنيا والآخرة ويحبط أعمالهم الصالحة.

والحقيقة تنطق بنفسها أن الخير والشر ينحصر على الباطن أكثر من الظاهر فالخير هو الذى يأتى به عامله ابتغاء لوجه الله بإخلاص كامل والذى أكده القرآن الكريم أكثر من مرة [٣٦] أما ابتغاء رضى الرسول صلى الله عليه وسلم هو نفس رضى الله تعالى ولا فرق بينهما حسبك أن جل شأنه يبتغى رضى رسوله "ولسوف يعطيك ربك فترضى" [٣٧] وورد فى الحديث الشريف :

إنما الأعمال بالنيات فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه [٣٨] (بخاري) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نية العمل الصالح عمل صالح ويؤجر على النية فقط وإذا عمل بها فله أجر عمله [٣٩] (ترجمة بالمعنى) .

إن الله أعلم بالسرائر . فإذا أحدث رجل عملاً فى الدين لرضى الله ورسوله فلا يجدر بنا أن نضعه موضع غير ثقة ولا نظن به ظنا أن القرآن يمنع بتأكد بالغ عن سوء الظن قال الله تعالى .

"يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه" (٤٠) .

قد ناقشنا فيما أسلفناه حول السنة السيئة والحسنة أردنا بذلك المسلك الحسن والسيئ – ونجد فى هذا الباب كلمة أخرى وهى البدعة التى متداولة بيننا . وقد بلغت الكراهية والنفور عن هذه الكلمة ذروته وجعلنا هذه الكلمة عرضة للنقد المرّ والبغض ولا يخطر على بالنا أن الله تعالى قد استخدم نفس الكلمة لذاته بقول جل مجده "بديع السموات والأرض" (٤١) هذه الكلمة تسع لكل صورة أو صفة للقدرة والإبداع والتخليق والتجديد وبكلمة أخرى هذه هى عناصر البدعة فليس هذا اللفظ أن يستكره . انظروا إلى ما يلي:

بدع (فى معنى التخليق)، بدُع (فى معنى الابتكار والندرة) وبَدْعَ (الإيجاد والابتكار)، بدوع (الذى لا نِدّ له ولا مثيل) وإلى غير ذلك من المشتقات فليراجع إلى المعاجم (٤٢) .

قد لاحظتم أيها السادة الكرام المعاني المتنوعة فى كلمة بدعة والوان شتى تتجلى فى هذه الكلمة هل تحسب أنت أهى كلها من المعاني تستحق الكراهة بكلمة البدعة كمثل الكراهة لإنسان بإنسان ولكن هناك أشرار واخيار فى الإنسان فكراهته بكلمة البدعة ككراهة المرء عن الطيور ولكن يا للعجب هناك أيضا ضار ونافع فى الطيور فمثله مثل من يستنكر ويكره الأزهار المفتحة ولكنه أيضا هناك أزهار قبيحة اللون والرائحة وأخرى تحبونها بحسن ظاهرها وطيب رائحتها . ملخص القول انك تجد الخير

والشر وتصادفهما فى كل مكان سواء أ كان الأمر يتعلق بعالم الحيوانات أو النباتات أو الجماد كما أنه سواء يتعلق بالأقوال أو الأعمال فإن الله تعالى منح علينا العقل لهذا الغرض أي نستطيع من التميز بين القبيح والحسن فنحتضن بالحسنات ونجتنب بالسيئات وإلا فلا وظيفة للعقل فى الجسد البشري . اعتبارا بمعنى اللغوي للبدعة تحيط كل فنّان ، مصور ، كاتب محقق، وعلماء المخترعين فى شتّى حقول العلم وأمثال ذلك من المخترعين هؤلاء كلهم مبتدعون وبكلمة أوسع "أهل البدع" ذلك بأنهم يخترعون ويجيئون بالمبتكرات أي "المبتدعات" – يتضح لنا بأدنى تأمل أن القوة الفكرية المؤدية إلى إنشاء الجدد لمميزة بارزة من ميزات الأقوام الراقية الحية النشيطة أما الجمود والخمول واللاعملية فلا تزيد القوم إلا انهيارا واستدراجا إلى التشتت والفناء . لتكون الحياة جمادا بلاروح .

ورد فى الحديث الشريف كلمة أخرى إزاء كلمة البدعة وهى "الحدث" يشمل هذا اللفظ مفهوم القدرة والإيجاد والتخليق مهما كان اللفظ ينشق من هذه المادة أي الحدث . انظروا إلى ما يلي :

حدث حدوثا وقع

حَدَثَ ـــ حَدَاثَة وحدوثا = عكس قَدُمَ

أَحْدَثَ = أَوْجَدَ وابتدع

استحدث = ابتدع واستحدث الخبر = وجده حديثا الحدث ج أحداث وحدثان = الشاب

الحدث جمع احداث = ألا مر المنكر الذى ليس معتادا ولا معروفا فى السنة ، البدعة فى الدين.

الحديث = الجديد .

المحدث = جمع محدثات = مالم يكن معروفا فى الكتاب ولا السنة ولا الإجماع نقيض القديم

الحداثة فى الأمر = أوله وابتدائه

الحديث جمع أحاديث = الخبر

الحدث ج أحداث = الغائط (مقتبس من المنجد)

: من المترجم) يقول الإمام الراغب فى المفردات فى غريب القرآن كما يلي :

الحدوث = كون الشيء إن لم يكن وإحداثه أى إيجاده وإحداث الجواهر ليس إلا لله تعالى والمحدث : ما أوجد بعد أن لم يكن قال تعالى "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" ويقال لكل ما قرب عهده، محدث فعلا كان أو مقالا قال تعالى "حتى أحدث لك منه ذكرا" و"لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا" وكل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحى فى يقظة أو منامه يقال له : حديث قال عز وجل "إذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثا" وقال "هل أتاك حديث الغاشية" و"علمتنى من تأويل الأحاديث" إلى ما يُحَدّث به لإنسان فى نومه . وسمى الله تعالى كتابه حديثا فقال "فليأتوا بحديث مثله" ... وقال عليه السلام إن يكن فى هذه الأمة محدث فهو عمر وإنما يعنى من يلقى فى روعه من جهة الملاء الأعلى شيء . وقوله عز وجل "فجعلناهم أحاديث "أي أخبارا يتمثل بهم . والحديث : الطرى من الثمار ورجل حدوث حسن الحديث (المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني وقد بينا الآيات لقوم يعقلون) (مترجم)

ورد فى القرآن الكريم هذه الكلمة فى نفس المعنى [٤٣] قال تعالى شانه" أحسن الخالقين. [٤٤] أى ليس خالق دونه . فالإنسان مظهر لصفات الله تعالى وانه يبدع ويجيد بأشياء كأنه مطبوع على الإبداع والابتكار

وبأشمل معناه إن الإنسان مبتدع بطلبه أى المحدث المخترع . بناء على هذا استحب الله جل مجده المحسنات والصالحات من الأعمال وبشّر النبي صلى الله عليه وسلم على المحدثات الحسنة ونهى عن السيئات وصرح فى بعض الأحاديث الشريفة النبوية بسيات الأمور . نذكر هنا أربعة منه والذى يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع الفطرة المبتدعة للمسلمين على اطلاقها بل وضع لها حدودا ومعالمَ روى عن بن عباس ألا وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

١ – عن مرة الهمداني يقول قال عبد الله (بن مسعود) أن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين [٤٥] رواه البخاري كتاب الاعتصام (باب الإقتداء بسنن النبي صلى الله عليه وسلم وفى حديث آخر : كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار [٤٦] .

٢ – عن جابر رضى الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن خير الحديث كلام الله وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة [٤٧] .

٣ – ألا تمسكوا بسنتي وسنة خلفاء الراشدين وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة [٤٨] .

٤ – عن عائشة رضىَ الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحدث فى أمرنا هذا فهو ردٌّ [٤٩] (متفق عليه) .

لو تعمقنا فى الأحاديث الشريفة المذكورة أعلاه لوجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عن المحدثات على الإطلاق فانه مضادّ للفطرة البشرية كما أنه يعارض الأحاديث الشريفة التى أسلفناه ذكرا . الإسلام هو

الفطرة فاذن نشرح الأحاديث المذكورة أعلاه فى هذا الضوء ونقول إن الإسلام يحدد على محدثاتٍ ويمنع عنها إذا كان

١ – الأمور التى تتضاد القرآن الكريم وتخالفه.

٢ – والتى تخالف السنة ولا أصل لها فى السنة.

٣ – والتى تخالف سنة الخلفاء الراشدين ولا أصل لها فى عصرهم.

٤ – والأمور التى لا أصل لها فى الدين أى الكتاب والسنة والقرون المشهود لها بالخير.

تتضح لنا بهذه التفاصيل أن المحدثات بأجمعها ليست محضورة ولم ينه النبي صلى الله عليه وسلم عن كافة المحدثات فى ضوء أحاديث الطائفة الأولى التى ذكرناها فى هذه الأوراق ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم فان صرفنا النظر عن الأحاديث الطائفة الأولى الأحاديث التى منع فيها عن المحدثات لكان الأمر كما نحكم بترك الصلاة بآية القرآن الكريم" لا تقربوا الصلاة" [٥٠] وتركنا وراء ظهورنا الشرط الذى يترتب عليه الحكم وهى جملة آتية لنفس الآية إلى "وأنتم سكارى" (نزلت الآية الكريمة قبل تحريم الخمر) ويدعى أن القرآن ينهى عن إتيان بالصلاة أو مثله كمثل الذى يزعم عن لفظة "كل جبل" فى الآية الكريمة "واجعل على كل جبل منهن [٥١] بأن الله تعالى أراد كل جبال الأرض فى قوله "كل جبل" مثل هذه التفاسير مضادة للعقل والنقل .

يتجلى من عمل النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم ينه فى الأحاديث المذكورة التى تنص على منع المحدثات الا المحدثات المضلة السيئة فانه صلى الله عليه وسلم أجاز ورخص فى السنة الحسنة وبكلمة أخرى بالبدعات الحسنة وفوق ذلك انه صلى الله عليه وسلم بشّر عليها بالأجر

والثواب وكفى بنا تمييزا بين السيئات والحسنات من البدع ما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآتي:

حضر فى جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنان من عمال باذان حاكم اليمن آنذاك مرسلي الشوارب إلى حد بالغ ومحلقى اللحي رأى رسول الله صلى عليه وسلم إليهما باستكراه شديد وسئلهما ويحكم ! من أمر كما بهذا؟ قالا : ربنا أمرنا بهذا (يعنى ملك فارس الكسرى) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمرنى ربي بإعفاء اللحى وخف الشوارب [٥٢] يستفاد بهذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم ينكر كل سنة تتضاد سنة المشرقة الهادية المنيرة – تأملوا أيها الأخوة إذا استكره النبي صلى الله عليه وسلم المجوس محلقى اللحى ومرسلي الشوارب واعتبره مسخا للوجه فكيف بالمسلمين فى نفس الوضع – ألا يستكرهه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وهو حي فى قبره؟ ويُعرض عليه أعمال الأمة مرتين فى الأسبوع .

فالحقيقة أن الأحاديث التى تمنع عن محدثات الأمور يراد بها أمور تخالف الكتاب والسنة . وإن أصر القول بنا أن المراد فى مثل هذه الأحاديث هو كل بدعة فاذن ماذا نعنى بالآيات والأحاديث التى أسلفناه ذكرا فى باب السنة الحسنة والسيئة . تخصيص العام عن الخاص أو تخصيص الكل عن الجزء مغاير حقا للمقام الرفيع للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . قال النبي صلى الله عليه وسلم "أوتيت بجوامع الكلم [٥٣] وقال تعالى "ويعلمهم الكتاب والحكمة [٥٤] فإذن الباس المعاني الضيقة الحدود لكلام الذى أوتى بجوامع الكلم تعتبر حتما محاولة إهباط المكانة الرفيعة للذى رفع الله تعالى ذكره وخلّده مجده [٥٥] لا يصل إلى هذه النقطة لب أحد من ذوي الألباب بأنه لماذا تصبح كل جديد بدعة لأنه ليس من القبيح كون شيء مبتكر فى أصله وليس من الحسن كون كل شيء قديم . فالأساس هو كون الشيء نفسه

حسنا أو سيئا . فى ضوء الشرعية المطهرة . تتجلى صورة المسئلة أكثر وضوحا ببعض الأحاديث الشريفة كما روى عن النبي صلي اله عليه وسلم.

"الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ما حرم الله فى كتابه وما سكت عنه فهو عفو" (٥٦) .

وعن أبي ثعلبة الخشنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها (٥٧) رواه مشكاة عن دار قطني كتاب الإيمان باب الاعتصام بالكتاب والسنة.

فى ضوء هذا الحديث أن المحدثات من الأمور التى سكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم فإنها تأتى تحت باب المباح والعفو ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كثرة التسأل فى مثل هذه الأمور مخافة عليهم من الحرج والمشقة فانه صلى الله عليه وسلم كان يحب السهولة والرخصة لأصحابه ولأمته نظرا إلي هذا ورد فى القرآن الكريم "يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياءَ إن تبدلكم تسؤكم وإن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم (٥٨) .

وفى رواية فى صحيح المسلم أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته الذى بيّن فيها بفرضية الحج فسأل أحد من أصحابه أكل عام يا رسول الله فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ثم أعاد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذرونى على ما تركتكم فيه . لو قلت نعم لوجب الحج فى كل عام وما استطعهم (٥٩) يستفاد من هذا الحديث ان الأمور التى سكت عنها القرآن والأحاديث فهى مباحة يجوز التطوع بها بكل سرور .

والأمور التى لم يأمر بتركها فيجوز فيها الرأي فى هذه الأمور بالقبح والحسن ولكن لا يصح فيها الحكم بالحلال والحرام فانه تصادم مباشرا بالله

والرسول أو يعتبر المحاكم بالحسن والقبح فى مثل هذا أنه مدعى للألوهية أو النبوة . منع الله من هذه الأمور حيث قال فى "ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام تفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون [٦٠] النحل : ١١٦.

قال ابن كثير فى تفسير الآية:

"ويدخل فى هذا كل من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي، أو حلل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه ثم توعد على ذلك فقال "إن الذين الخ (تفسير ابن كثير تحت سورة النحل : ١١٦.

وما هى الحسنة والسيئة فقد صرح بها فى الأحاديث ووضع كل شيء موضعه فعلى سبيل المثال والتائيد نعرض حديثين اثنين .

١ - عن عائشة رضى الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل فصلى فى المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلى فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر - أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال أما بعد فأنه لم يخف عليّ مكانكم ولكنى خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها فتوفى رسول الله عليه وسلم والأمر على ذلك [٦١] رواه البخاري كتاب الصوم باب فضل قيام رمضان) .

وفى البخاري "نعم البدعة هذه" وفى رواية نعمت البدعة" قالها عمر حينما أجمع الناس خلف أمام واحد فى التراويح فى عصر خلافته (كتاب الصوم باب فضل قيام رمضان) .

٢ - عن بلال بن الحارث المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل أجور من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الإثم مثل أثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا" [٦٢] رواه الترمذي وابن ماجه) .

هذه الأحاديث المذكور أعلاه بنة الوضوح فى أن كل محدثة رضى بها الله رسوله أو تنال تأييدا من أي جهة تكون فهى مباحة حسنة والتى لا يرضى فهى سيئة، وقد تناول الفقهاء والمحدثون هذا البحث إلى (محدثات الأمور) بكل شرح وبسط، وجمعه الشيخ عبد الحق الحقاني ملخصا فى كتابه "عقائد الإسلام" المطبوع من دهلى، وعرض له التقديم السيد العلام قاسم نانوتوي، وهو يقول فيه.

"لم أرقط مثل هذا الكتاب فى الأردية، ولم أسمع يدل حسن الأداء فى المحتويات على كمال براعة المؤلف" .

يقول الشيخ عبد الحق الحقّاني فى كتابه "البدعة فى اللغة شيء محدث مبتكر جديد فى أصله، وعرفه الشرع الشرعي أن البدعة نقص أو زيادة (فى أمر ديني) بدون أن يأذن به الشرع أولا يبيح به الشارع قولا أو فعلا صراحة أو إشارة ولم يجز به الشرع بناء على ذلك لقد قسم الفقهاء البدعة إلى خمسة أقسام :

(١) الواجبة (٢) المستحبة (٣) المباحة (٤) المكروهة (٥) المحرمة ..... فالأحاديث التى تصف البدعات ضلالة فهى لا تعم هذه الأقسام الخمسة كلها، وإنما تراد بها البدعة المكروهة والمحرمة فحسب [٦٣].

انه يفصل هذا الاجمال فى سطور آتية وهى كما يلي :

الأمور التى كان لها وجودا فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم سواء أفعله النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أصحابه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ولم ينه عنه النبي صلى الله عليه وسلم فتلك الأمور ليست ببدعة بالإجماع.

- إذا كان ذلك الشيء يتعلق بالعادات فليست ببدعة بالاجماع.
- وإذا كان من قبيل العبادات فهى على ثلاثة أقسام هل كان له وجودا فى عهد الصحابة رضى الله عنهم أو فى عهد التابعين أو فى زمن من تبع التابعين . أى عهد القرون المشهود لها بالخير أما إذا حدث بعهده فيشترط إجماع الأمة عليه .
- إذا حدثت فى عهد الصحابة رضى الله عنهم فليست ببدعة قطعا إن لم ينه عنه الصحابة أوأنكروه بعد الإطلاع عليه.
- وان حدثت فى عهد التابعين أو من تبع التابعين فليست ببدعة أيضا شريطة أنهم لم يمنعوا عنها ولم ينكروا عليها بعد الإطلاع عليه.
- لان هذه العصور الثلاثة شهد لها رسول الله صلى عليه وسلم بالخير ووصفها بخير القرون [٦٤] .

والتى حدثت بعد هذه العصور الثلاثة فتُعرَض على الكتاب والسنة واجماع الأمة وقياس الأئمة المجتهدين فإذا وجد لتلك المحدثة أصل أو مثيل فى العصور الثلاثة المشهود لها بالخير ولها أساس شرعي وتستدل عليها بالأدلة الشرعية فليست ببدعة.

- وان لم يوجد لها مثيل وأصل فى القرون المشهود لها بالخير وليست لها دليل شرعي فهى بدعة [٦٥] وإنه يستنتج كخلاصة البحث فى نهاية المطاف فى أمور اباح بها الشرع الشريف بصراحة النص أو بدلالته وحدثت تلك الأمور بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخير فليست

ببدعة[٦٦] ملخص القول كل أمر أحدث به طبقا لقواعد السنة وأصولها أو يقاس على السنة فهى بدعة حسنة وما يغايرها فهى بدعة سيئة فليست كل بدعة على متساوية .

وقد درس العلامة الشاطبي البدعة فى كتاب الاعتصام من ناحية أخرى وعرفها كما يلي:

١ – إنشاء طريق فى الدين من عنده ليس له أصل فى الشرع ولكنه يشابه الشرع الشريف ويراد بأخذها والسلوك فيها رضى الله سبحانه وتعالى والمبالغة أو الغلو فى العبادة.

٢ – أحداث طريق فى الدين من عنده الذى يشابه الشرع فى صورته والغرض من التمسك به نفس الغرض الذى يقصد بالطريق الشرعي .

طبقا للوصف الأول يعتبر رهبانية النصارى كبدعة حسنة التى ابتدعوها ابتغاء لوجه الله ولم تفترض عليهم (سورة الحديد) [٦٨] .

أما التعريف الثاني فيدخل فيه البدعات السيئات ومثاله ان يجتمع الناس كاجتماعهم يوم العرفة فى الحج فى العرفات ويدعو الناس إلى ذلك الاجتماع والمساهمون فى ذلك الاجتماع يتهيئون له تهيئتم للحج ويزعمون أنفسهم حاجا بعد أن ساهموا وشاركوا فى مثل هذا الاجتماع فهى حقا بدعة سيئة مضلة.

فالحق أن البدعة تظهر قبائحها حينما يهتم بذلك الأمر المحدث ويهتم به اهتمام الفرائض المكتوبة ويعتبره كركن ديني حتى يعتبره الناس من شعائر الدين فيلوم تاركه ويستكرهه كاستكراهه بتاركى السنن والفرائض الشرعية فيقاطع عنهم حمية له للدين . وهكذا يترك الفرض لأمر مستحب . والذى أميل إليه فى باب البدعات الحسنة الآ يلام تاركها . ولا يقاطع عنه

والذى يعمل به دعه يعمل ولا يقدح على تاركه ولا يظن به سوءا إلا إذا يصدر عنه أمرا يوجب المقاطعة من الناحية الشرعية .

والآن ندرس البدعة من ناحية أخرى وسنحللها عن طريق الممارسة والعقل – كل محدث لا يخلو عن ثلاث أحوال أما أن يكون خيرا محضا أو يكون شرا بأسره أولا يكون خيرا ولا شرا (أو حسنا وسيئا) ينير من الدليل فى هذا الباب القرآن الكريم ورسوله عليه الصلاة والتسليم . الذى هو خير كله فيعمل به والذى شر كله فإياكم وتلك الأمور المحدثة أما الذى ليس فى ذاته حسنا ولا سيئا ففيه الخيار إن شاء عمل به وإن شاء تركه . فالحكم على قباحة كل بدعة بدون التأمل والخوض فى تحقيقا ليس أمر محمود عند ذوي الألباب كل قوم فقد قوته الإنشائية والإبداعية ليسيطر عليه أقوام أقوى منه ابداعا.

وفى نهاية المطاف يستحوذ على الاستوباء الفكري والذهول والخول والجمود الفكري حتى يتطور نحو الفناء فقد هويته ويسيطر عليه قوم أقوى منه نشاطا فى مقول الابتكارات والاختراعات الفنية العلمية وهلم جرا – قوة الفكرة والتعقل لنعمة من نعم الله العظمى – فإن شئت إبادة قوم فكرا وهوية فاسكت منه قوته التفكيرية المودية إلى الاختراع والإيجاد الكامنة فى صميم ذهنه وأغلق عليه نوافذ القلب وكبل العقول واقطع عنه ينابيع الفكرة المتفجرة عن مصدر المبدء يفرض حتى تخمد جذوة الشوق والنشاطات العملية . فهذا القوم حقا جسد بلا رقة تحسبهم أيقاظا وهم رقود، وذلك إذا شاء الله القدير يستبدل قوم بقوم ولذلك يراعى الشرع الشريف ثلث القوة العظيمة وقدرته الأعتبار بما أن الإسلام هو دين الفطرة .

ولو فرضنا أنه كل محدثة بدعة فحسب أن تكون كل قديم هداية . ولكنه يرفضه العقل السليم ولا اعتبار لمثل المعروضات عند ذوى الألباب .

تعتمد الحسنات والسيئات على القوم الحداثة كما هو من مقتضيات العقل السليم فكيف يعتبر ذلك عيارا فى الدين إلى كل حدث بدعة وكل قديم حسنة فمن يعتبر كل محدثة ضلالة فأنه فى محاولة جدية فى إيقاف الزمان والساعة فيما له من نتيجة عقيم فالزمان مستمر سيار لا يقف ولا يسكن - أجل - هذا من شأن المؤمن المطلوب أن يعطف عنان الزمان طبق مسيره فإنه مطاع وليس بمطيع لزمان والكون وأنه قدوة وليس بمقتدى . الزمان بطبعه متغير كل حين وآن . هذه حال أصبحت ماضيا فى آن وتحول إلى الاستقبال ذلك الآن ولم يقف برهة فالزمان هى اسم تواعى الآنات ليس له قرار ولا ثبات . تصور الوقف والكون بين هذه السرعة البرقية كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء . الحياة متحركة تدور مظاهرها المتغيرة والإنسان فى بذاته متغير الأحوال فان عملية التعمير والتخريب يستمر فى داخله من خلال الأفكار والأخيلة والوساوس والشعور فتارة يترقى ويصعد إلى مدارج رفيعة وأخرى يهبط إلى أسفل السافلين ولا يشعر بذلك هو نفسه أنه يتغير آنا فآنا . حتى لا يعرف أحيانا من هو بكنهه؟ وتستمر عملية التغيرّ فى داخله.

لا يبيح الإسلام التغيرّ والتجدد على الاطلاق ولكنه جعل الحدود ووضع القيود على التحرر الفكري أو العملي ذلك بناء على أن الفيضانات لا تسدّ بالسدود بل يحول مجراه هذا ما يقتضى به العقل هذا من أعظم نعمة الله أنه علمنا تحويل مجرى السيول والفيضانات كلها.

تنمو الأغراس من البذور وهذه الفرصة تستوى على ساقها بصورة شجرة تميل يمينا وشمالا فتزدهر فتثمر . هكذا تذرع بذور الفكرة الإسلامية السليمة فى صميم القلوب فتنمو وتزدهر فتثمر ثمار العمل الطيب هذه الشجرة أصلها ثابت فى قلب المؤمن وفرعها فى السماء تتشعب وتستورق ما شاء الله . ومن لم يشاهد أو يمارس عملية الذرع والنمو

والأثمار كيف يستيفض فى القوة الكامنة فى البذرة كيف يومن بأن فى ذرة من خردل هناك شجر ذات أغصان وأثمار كذلك فى عالم البواطن أى الأيمان والعمل وإنما يتغدد على من لم يمارس كيف يذرع بذرة الأيمان فى القلب تنمو وتزدهر بتقوية الأعمال إيّاها حتى تصبح شجرة استوت على ساقها أصلها ثابت في أرض القلوب وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين. كيف يدرك بهذه الحقيقة عن لم يمارسه فعلا فإنه متعذر المنال إدراك حقيقة الأشجار المتشعبة فى صميم البذور عالم الايمان والعمل لا مثال هؤلاء . فأنه يعتبر البذور والأشجار كحقيقتين علحدتين منفردتين لا بأس دعه يغمض العين الحقائق ولو كان يتعمق فى مشاهدة عوالم الأعمال والأيمان توصل إلى الحقائق التى أشرنا إليها فيما سبق هناك كثير من الأعمال لها أصل ثابت فى الدين ولو نراها . فأشجار بذور الصالحات التى بذرت فى أرض الخير والصلاح لتكونن خيرا وبالعكس أشجار بذور الخبيثة خبيثة إذا كانت الأرض خبيثة جدبة.

هناك كثير من الأعمال والتى تدولت بين المجتمع . لها أصل فى القرون وآخرى من الأعمال المتداولة لها أصل فالحديث النبوي الشريف وأخرى من الأعمال ابتدعها الصالحون من عند أنفسهم ابتغاء لوجه الله واختاروه احتسابا ونحن جعلناها سوء حظنا وضئالة بصائرنا، أنها بدعة ضالة . وعلى كل حال إذا أمر أحد على السنة واتباعها على وجه الكمال ورفض البدعة وتنديدها . فنقول له تصبغ بصبغة السنة ظاهرا أو باطنا . وعش عيشة النبي صلى الله عليه وسلم ولتكن كل متاعك تشتمل على جرة ذات سبعة أذرع أو ستة من السبعة من الكسوة قميصا وإذا بسيطا . كما روى عن أبى بردة قال أخرجت عائشة رضى الله عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت تبقي روح الرسول الله صلى عليه وسلم فى هذين رواه

الترمذي فى الشمائل باب فى صفة إزار رسول الله صلى الله عليه . ومن المأكل ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ما شبع آل محمد صلى الله وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا هو وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير . وفى حديث آخر عن سهل بن معيد (رواه الترمذي كتاب الشمائل أنه قيل له أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى يعنى الحوّارى (أى الخبز النقى من التخالة) فقال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى حتى لقى الله تعالى . (رواه الترمذي فى كتاب الشمائل باب صفة الخبز ومن الفراش ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت إنما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه من أدم حشوه ليف (رواه الترمذى باب الفراش) .

وليستعمل للركوب ناقة مضيئة أو مثل ما كان يركب عليه الرسول صلى الله عليه وسلم . فإن قال – كيف وهذه الدنيا فنقول له إن الدين يحيط الدارين وليس الدين الآخرة وحدها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدنيا مزرعة الأخرة [٦٩] يعنى به علاقة الدنيا بالدين كعلاقة البذور بالأشجار إن لم تكن البذور لن تكن الأشجار، ولذلك ورد فى القرآن الكريم "ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة [٧٠] معنى ذلك أن الآخرة لن تكون حسنة ما دامت الدنيا لم تكن حسنة وبينما علاقة وطيدة وثيقة لا تتحسن إحدها إلا بالأخرى . كما قال شاعر أكبر محمد إقبال :

جدا هو دين سياست سے تو ره جاتى هے جنكيزى

"إذ أنتزع الدين عن السياسة٢ فلن يبقى إلا الاستبداد وانتهاك الحرمات"

إنما الدنيا تعبير عن السفك والدمار والدّهاء والخدعة السيئة ما لم تكن خاضعة للدين . إن الإسلام يراعى على حياة الفرد الذاتية أعرض هنا حديث واحد فقط فى هذا الصدد .

"عن الأشعث بن سليم قال سمعت عن عمّتى فحدثت عن عمّهما قال بينما أنا أمشى بالمدينة إذا إنسان خلفى يقول ارفع إزارك فإنه اتقى وأبقى فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إنما هى بردة ملحاء قال أما لك فيّ أسوة فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقيه" (٧١) رواه الترمذي كتاب الشمائل باب صفة إزار رسول الله صلى الله عليه وسلم) . يبدو الإزار فى بادئة النظر إنه من الدنيا ولكنه إذا كانت الكسوة واللباس على غيرما يرضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بدعة سيئة أن الأمور الغير المرضية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصّة إذا صرّح رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريقه وسنته فى ذلك الأمر عن سواه كما فى هذا الباب أي استرسال الثوب فهو حرام أو مكروه كراهة تحريمية على الأقل. هذا هو الحق وعليه الإجماع) .

ملخص القول ليست الدنيا فى الإسلام شيئا علحدة عن الدين كلها كلاهما لازمان ملزومان . استحب العمل بالدين لا يتصور إلا فى هذه الدنيا وإنما هى مزرعة الآخرة فالزرع فى الدنيا والحصاد فى الآخرة . كما تزرع تحصد . أما ترك الدنيا والتبتّل والرّهبانية فليست من الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "رهبانية أمتى الجهاد" . (راجع تفسير سورة الحديد آية : ٢٨) والذى يتحاشى عن المسئوليات الاجتماعية التى وجهها الله سبحانه وتعالى إليه من حيث أنه فرد ذلك المجتمع فأنه لا يبري عن أداء الواجب ويكون المسئول عن التحاشى عن تلك المسئوليات . فإن غادر المرء بيئته خلعا لنيران المسئولية التى توجهت إليه من قبل المجتمع والأسرة ذوى

الأرحام وكذا من ناحية الاسترزاق الحلال فمثله كمثل الذى اغلق عليه أبواب الخير قاطبة (إلا إذا كان الخروج والمغالاة لإعلاء كلمة الله فإنه محمود فى الأوضاع كلها شريطة المراعاة على الحقوق والذمم أما فى الأوضاع الخاصة مثلا هجوم الكفر ضد الإسلام أو النشاطات العدوانية ضد الإسلام ففي بعض الأحيان الخروج فرض على الكفاية وفى بعضها فرض عين كما نصّ القرآن الكريم أكثر من خمسمأة موضع راجع إلى الكتب الفقهية وكتب الشرح للأحاديث الشريفة والتفاسير) كان الصحابة رضى الله عنهم أحق بهذا القول فإنهم كانوا يخرجون مجاهدين فى سبيل الله بدون أى رعاية على أو اهتمام بالحقوق العائدة عليهم من قبل الأسرة أو المجتمع وهذا ما كان يحث عليه القرآن الكريم ولم يطلب منهم المراعاة على الحقوق بل نددها تنديدا صريحا فالخروج آنذاك فى سبيل الله كان فرضا على العين على كل فرد من المجتمع الإسلامي . أما فى عصرنا هذا فإن لم يكن الخروج فرضا ولكنه لا يخلو عن كونه من أهم الواجبات الدينية فليراجع إلى كتب السير والفقه لتوضيح المقام وبدون ذلك لا يتم التنقيح والبحث فى الباب المعنى . والحق أن الرهبانية فى معنى ترك الدنيا غير مرضى فى الإسلام . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية أمتى الجهاد .

ولا شك أن المتساهل الفار عن المسئوليات التى توجهت إليه من ناحية الرحم والراعى لمأخوذ عند الله . فمثله كمثل الموتى يضطجع فى القبر تاركا ورائه الدنيا وعلاقاتها كافة أغلق عليه أبواب الخير علاقة له بالدنيا أو المسئوليات أي تعود عليه من الجواب . فإن الله لم يرد إماتة الأحياء يرد – حاشا وكلا – فإنه أراد بخلقنا وتمكننا فى هذه الدنيا نعيش عيشة الموتى لولاه لما أرسلنا إلى الدنيا ولم يخلقنا . فإنه تعالى مجده خلقنا لعبادته وبعثنا فى هذه الدين كخلقة له كما ينصّ به القرآن الكريم، فياللأسف

على من لم يفهم غرض التخليق ويتخبط خبط عشواء تأمل أيها الأخ لماذا خلقت وماذا تفر إليه؟

ستطلع إذا انكشف الغبار

أفرسٌ كان تحتك أم حمار

كنا نمر صدد البحث حول البدعات والدين . فنقول إن البدعة مهما كانت عبادةً أو تعودا إذا كانت حسنة فيستحق فاعله الجزاء والثواب وبالعكس العقاب والعتاب . لقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن كثير من البدعات (المخترعات) قبل ظهورها[٧٢] فهذه البدعات تتعلق بعضها بالدين وأخرى بالخلق ومنها ما تتعلق بالاجتماع وتدبير المنزل كما أنها تتعلق بعض بالمعاشرة والتعلم، ومنها بدعات حسنة وأخرى سيئة . أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم – عرفنا من هذا الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينظر على طبيعة النفسية الشرية المتطورة وكان صلى الله عليه وسلم يلاحظ ملاحظة مباشرة الحوادث والوقائع والمحدثات التى حدثت فيما بعد وكانت آنذاك فى ستار الغيب . ويستنبط بنفس الحديث الشريف إن هذه البدعات كانت واجبة الحدوث والظهور . ولذا أمرنا بأنه إذا كانت المحدثات حسنة فخذوها وإذا كانت سيئة فارفوضوها.

وإذا أمعننا النظر فى المجتمع لنصل إلى نتيجة أن بعض البدعات الحسنة قد تناولناها قبولا وأخرى من البدعات السيئة قد اتخذناها احتسابا . وكلّها بكل الشعور والمعرفة للبدعات من ناحية الحسنة والسيئة . فإذا كان الأمر كذا أى نستعمل بالبدعات السيئة أيضا بشعور منا فكيف نحكم حكما نهائيا بأن كلُ بدعة ضلالة والحال أن العمل بالبدعات السيئة متداولة لقد تعذر علينا فهم هذه المعضلة . ماذا نريد بقولنا كل بدعة ضلالة ؟ وأبين التطبيق من القول والفعل . نذكر مخالفين البدعات التى تناولناها حسبة منا

بأنها حسنة . وقد دبّت وسرت هذه البدعات فى المجتمع سريان الدم فى الشريان وأصبحت كجزء لا ينفك عن المجتمع منها ما تتعلق بالتعليم والتعلم ومنها ما تعلق بالحياة الاجتماعية ونتعمل بها طوعا بدون اكراه أفلا نتذكر بأن هذه بدعة . لو تعمقنا فيها لما ادعينا بأنه كل بدعة ضلالة . فعلى سبيل المثال .

١ - كتابة المصحف الشريف فى خط النسخ وتنقيط الحروف ووضع الاعراب على الكلمات وتقسيم المصحف فى ثلاثين جزءا وكُلّ جزء إلى الربع والنصف والثلث لم تكن بهذه الأمور وجودا فى القرون المشهود لها بالخير.

٢ - بناء المينارات والقبقب فى المساجد وتزين المساجد بالمصابيح المشكوائية والتفريش بالسجادات الثمينة الناعمة إنشاء المكيفات الهوائية . كل هذه الايجادات واستعمالها متأخرة من القرون المشهود بالخير .

٣ - استخدام مكبر الأصوات والتأذّن به وقراءة الإمام يكبر الأصوات وخطبة الجمعة وكلمات النصح والعظة قبل الجمعة أو بعدها بمساعدة مكبر الأصوات وإلى غير ذلك . كلها من مخترعات حديثة .

٤ - رؤية الهلال بمساعدة التلسكوب المقراب وإرسال الرسائل بالبرقية والإذاعات بالراديو والتلفزيون واستخدام التصفير الشد والدف كأذان الإفطار فى شهر رمضان وإلى غير ذلك كلها من مخترعات حديثة.

٥ - تدوين الأحاديث الشريفة وكتب الفقه ووضع المقررات الدراسية وتعيين الامتحانات للفصول ونظام النجاح والفشلَ الذى يترتب على الامتحانات ومنح الجوائز وإلى غير ذلك من المعمولات المتداولة . كلها من مخترعات جديدة .

٦ - إقامة الاجتماعات الدينية فى الفنادق وحفل المسابقة لقراءة القرآن الكريم . ومنح الجوائز على الفائز الممتاز.

٧ – تعيين الملابس الرسمية للجيوش والعساكر والتسليم الرسمى للعلم الوطنى والاستماع الى النشيد الوطنى طوعا أو كرها والأنحناء التقديري للعلَم أو القيام التعظيمى له.

مثال ذلك كثير من البدعات التى اتخذناها طوعا وتناولناها عملا . وإن حكم أحد بكونها بدعة ضالّة وحاول بمحو هذه المعمولات المتداولة فلعله على مثل هذه الماحى للبدعات بالجنون أو فسادٍ فى العقل بجنب ذلك هناك عدد غير قليل من المخترعات الحديثة جاز لنا القول فيها بالبدعات الصريحة فى ضوء النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأنها أصبحت جزءً لا ينفك عن المجتمع ودبث فيها وسرت كل السريان ولكننا نفضل السكوت عنها ولا داعى يدعو إلى محوها أو يشيد إليها على الأقل يرتكبها المجتمع عامّا ونحن كالداعى ساكتون والعمل مبتلئة البدعات تكاد تحتلّ محل السنة عياذا بالله ولا يخطر على بال أحد منا . ومن أمثال هذه البدعات الممنوعة شرعا نذكر بعضها فيما يلي .

١ – أقبحها أذمها معصية أننا قد سلطنا شرائع أعداء الله ورسوله على البشرية كافة والقرآن ينص بكلمات قطعية المدلول بفضيلة الاتباع والأطاعة لله ولرسوله [٧٣] ولكن لايرى بأساً به أحدٌ ولا يعتبرها شركا ولا بدعة .

٢ – هناك موالاة بين المسلمين والدّول الكفرة المشركة واليهود والنصارى والقرآن الكريم يمنع بكل صراحة من مثل هذه الموالات والمؤاخات [٧٤] ولكننا لا نعتبرها بدعة ولا شركا.

٣ – وضع المسلم وكونه وعراة الرأس والتحاشى عن وضع العمائم على الراس بكونها سنة كما أنه حلق الحية والحال أننا نعرف معرفة جيّدة أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يستخدم القلنسوة تحت العمامة ولم يترك فى أي حالة من الأحوال ما دام حيّا . وأمر صلى الله عليه وسلم بتاكيد بالغ

بإعفاء اللّحى [٧٥] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لحيته مكثفة وفرة[٧٦] وأمر صلى الله عليه وسلم يخفّ الشوارب واعفاء اللحى [٧٧] ونحن نخالفه بأعمالنا علنا وجهارا ولا يخطر ببالنا بكونها بدعة شنيئة ظلماعظيما كأنا حسبنا أنفسنا مأمونة العواقب هذا العدد.

٤ – تتبرّج النساء فى زينتهنّ تبرُّجَ الجاهلية والحال أن القرآن الكريم ينكر عليه تنكيرا ويأمر بقرارهن فى بيوتهن فقال تعالى "ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الأولى [٧٨] فقال تعالى "ليضربن بخمرهن على جيوبهنّ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهنّ الخ [٧٩] وقال تعالى "يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن [٨٠] وقال تعالى "ويغضضن من أبصارهنّ [٨١] نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خروج النساء خارج البيت متعطرات [٨٢] جاء ابن إسحاق صحابي أعمى إلى سيدة عائشة رضى الله عنها فاحتجبت عنه [٨٣].

كل هذه الأوامر الثابتة بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة قد تركناها وراء ظهورنا ولا نرى فى الأعمال المضادة بالقرآن والحديث أىّ بدعة ولا ضلالة ولا شرك ولا كفر.

٥ – والأسراف المطرف بمناسبة الزواج ومحافله ونشأ هذا الاسراف فى جميع الظروف والأحوال ليس إلا الرياء والتنافس فى المفاخرة وكله حرام بصريح النص القرآنى والأحاديث الشريفة . ورد فى القرآن الكريم "إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين" [٨٤].

(٦) ولقد ترتدي بعض النساء الملابس الرجالية ويفتخرن بها ولكن لعنهن الرسول صلى الله عليه وسلم [٨٥] وقال أخرجوهن من بيوتكم [٨٦] وقال المرأة التي تتشبه بالرجال ليست منا [٨٧] حتى قال المرأة المتشبه

بالرجال تحرم من رائحة الجنة [٨٨] ومع تواجد هذه الأحاديث عندنا نعمل ضدها ولا نشعرانها به عن ضلالة .

(٧) الحظر على تولد الأولاد بتخطيط نظام الأسرة بدعة سيئة في العصر الحديث . النظر إلى البطن والوجه والأعراض عن العقل والعين والسيد والسيد الرجل، إحصائية المواليد، وقطع النظر عن عدد الأموات وأخذ نظام الله في يده لا يعتبرها أحد بدعة سيئة وضلاله مع أن القرآن يقول أن الله الذي خلق الإنسان يرزقه [٨٩] – فإنه أمر غريب أن تأكل الحشرات ويجوع الإنسان!!

(٨) ولقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا أحد يستطيع أن يمنع مولودا قدر له الحياة من الله [٩٠] . والتصوير رائج في المجتمع بشكل عام ويحبه الكل ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم منع عن التصوير ومحا الرسول صلى الله عليه وسلم صور الشخصيات المقدسة البارزة من جدران الكعبة بيده المباركة [٩١] . مرة علق ستار مزركش في بيته فأسقطه ومرقه[٩٢] . المهم كلما يرى شيئا فيه صور محاه وشطبه [٩٣] وكذلك شاهد على رضى الله عنه في ستار معلق في بيته وكانت فيه صور لم يشارك الدعوة ورجع [٩٤] – هذا الكلام كله موجود في الأحاديث [٩٥] ونحن نعمل ضد هذه الأفعال التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولكن لا أحد يرى فيه شركا ولا بدعة .

(٩) لقد منع القرآن بكل تأكد عن شرب الخمر، وعقد حفلات الغناء والرقص، وخلط الرجال بالنساء والتصفيق والقهقهة ولكن لا نرى فيها شركا ولا بدعة أبدا .

لا يوجد حد لهذه الأشياء عجزت عن سرد بيانها . فقد أصبحت هذه البدعات أجزاء لا تتجزأ من المجتمع ولكن لا نسمع أي صوت ضدها ولا حركة لا يقافها – نحن ننظر دائما بعيون ناقده ومنتقصة .

(١) فالشخص الذي دائما يقوم بالنقد والانتقاص في كل شيء يعتبر احتفال ميلاد النبي بدعة وشركا – فقد ذكر الله تعالى يوم ميلاده ويوم وصاله بشكل خاص [٩٦] . وهذان اليومان أفضل الأيام – ولد الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وكان يصوم ذلك اليوم شكرا لله [٩٧] . وبدأ يحتفل عباد الله الصالحون ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لا تستحسنه العيون الناقدة ويشمون فيه رائحه البدعة والشرك – ولا يرون بأسا باحتفال ميلاد أكابرهم واحتفال يوم زواجهم واحتفال ميلاد أولادهم وينورون المصابيح مثل اليهود والنصارى ويقطعون الكعك ولا يشعرون به بدعة ولكن يصعب عليهم أن يذكر أحد في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر محامده ومناقبه . فالإنسان الذي يحب النبي صلى الله عليه وسلم لو رأه في المنام ليحتفل بذلك اليوم .

زار السيد المجدد ألف ثاني رحمه الله خلال فترة ١٠٣٠ هـ – ١٠٣٣ هـ . الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وأمر عائلته أن يحتفلوا بذلك اليوم ويطبخوا ويأكلوا الطعام الجيد [٩٨] ولكن العيون الناقدة تعتبرها بدعة وضلالة .

(٢) وترى العيون الناقدة انشاد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وسماعه بدعة وشركا – ولقد اثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على الأشعار [٩٩] وسمع من عمرو بن شديد مائة شعر لأمية بن الصلت [١٠٠] وقرأ بنفسه بعض الأشعار [١٠١] وقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم منبرا للسيد حسان بن ثابت رضى الله عنه في المسجد النبوي وأجلسه وسمع

أشعاره [١٠٢] . وقد أنشد عمه عباس رضى الله عنه أمامه صلى الله عليه وسلم قصيدة يذكر فيها ميلاده وسمعه الرسول صلى الله عليه وسلم [١٠٣] وقد عرض عليه كعب بن مالك، عبد الله بن رواحة وكعب بن زهير قصائدهم والنبي صلى الله عليه وسلم سمعهم . وهذه كلها موجودة في الأحاديث ولكن لا نعرف لماذا تنتقد العيون الناقدة القصيدة المدحية فيما تتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم بوضع معين في يوم معين بدعة وشركا – وقد أخرج أستاذ من الأساتذة الأطفال من المسجد بجريمة أنهم كانوا يقرؤون قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم – وفي اجتماع ديني أراد أستاذ آخران يسمع قصيدة مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من شخص كان يحسن إنشاد نعت الرسول صلى الله عليه وسلم فمنعه الناس – نحن نرى الرقص ونسمع الأغاني ولكن نستكره أن نسمع القصائد المدحية – ذكر لي صديق أن شخصا كان يشاهد التلفزيون ويسمع بها الأغاني ولما بدأ برنامج القصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قال لولده أن يوقف التلفزيون لأنه بدأ الشرك . إنا لله وإنا إليه راجعون– يدهش العقل ويسأل ماذا يجرى في العالم؟

(٣) وترى العيون الناقدة في قراءة السلام والصلاة قائما على الرسول صلى الله عليه وسلم بدعة وشركا مع أنّ هذا كان من آخر أعمال الصحابة والصحابيات والأطفال حيث قاموا وصلوا وسلموا عليه أمام جسده الأطهر [١٠٤] بعد أن صلى الملائكة وسلموا عليه قياما – وعلم من القرآن بنفسه أن بعض الملائكة يصلون ويسلمون عليه قياما [١٠٥] . وهذا عمل تم اختياره تعظيما وتكريما ورضا لله ولرسوله – وكان يصلى المحدث البارز الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي الصلوة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم قائما وكان يحتسبه وسيلة للنجاة في الآخرة [١٠٦] . نقوم في أماكن أخرى بطيب النفس فيه قيامنا وقت إنشاد النشيد الوطني، وقيامنا وقت عرض

السلام للعلم الوطني، وقيامنا على أحد الموتى في المجلس التشريعي وحتى نقوم بنصطف قياما لإشراع التذاكر . ولكن العيون المنتقدة لا ترى أي بدعة وشرك إلا حين القيام للسلام والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٤) والعيون الناقدة تنظر البدعة والشرك حتى في الدعاء الاجتماعي بعد الصلوات المكتوبة ولذلك لا يمارسون هذا الدعاء في بعض الدول العربية – وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن الدعاء بعد الصلاة يجيب به الله سبحانه أكثر من الأدعية الأخرى [١٠٧] . وأمر للدعاء بعد كل صلاة[١٠٨] وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بعد الصلاة ويمسح على وجهه [١٠٩] . وكلما يدعو الله يرفع يده ثم يمسح على وجهه [١١٠] . والنبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الله بصوت عال وإن لم يفعل كذلك لم تصل إلينا الأدعية الكثيرة – ولكن للأسف الشديد نحن اعتبرناها بدعة وشركا .

(٥) ترى العيون الناقدة البدعة والشرك في الأكلات التي قرأت عليها سورة الفاتحة حتى يقول البعض إن المأكولات كمثل هذا والمشروبات نجس – وهذا أمر جلي بأنك إذا قرأت سورة طاهرة على طعام طاهر فتزداد طهارته وكيف يصبح نجسا؟ .

ويخاطب الله هؤلاء الناس في القرآن، الكريم قائلا :

"وما لكم ألا تأكلو مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإنّ كثيرا يضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمعتدين " (سورة الأنعام آية ١١٩) [١١١] .

فانظروا من عمل بما ذكر أعلاه من القرآن الكريم ما كانوا مشركين ولا كفار، ولا كذابين ولا فاسقين، ولا من الأراذلة المستحين (معاذ الله ثم معاذ الله) يشهد الزمان على صداقتهم وبحرمتهم وكرامتهم وعفافهم وشرفهم– هم الذين هذبوا الناس وأصلحوا المجتمع – ولم يستولوا على

المجتمع كعذاب ونقمه بل كانوا رحمة للعالم كله – وهذه هي الطامة الكبرى بأن يمارس أعمال الكفار والمشركين والفاسقين والفجار ويحبب بدعاتهم ويكفر بدعات العلماء المسلمين وتعتبر شركا – ما هذا السر؟ .

عندنا القرآن والحديث وأعالىالصحابة وعلماء الأمة وحينما نقارن أعمالنا بهم نجد بونا بعيدا وفرقا عظيما إلى حد الدهشة والعجب الشديد – الشيء الذي لا يضر الدين والأمة نعتبره شركا وبدعة ولا نحبه – ومن جهة أخرى نحب الشيء الذي يخالف القرآن والسنة – ولا نعرف لماذا اختار الناس بضعة عدد من البدع وجعلوها عرضة للنقد والملامة ولا نصغى إلى أحد ونبذل أقصى مجهوداتنا في تصريف القلوب عن تلك السنن التي نعتبرها كبدعة نضطرأن نفكر هل نحن متورطين في مؤامرة عالمية؟ – ومن لا يرى البدعة السيئة بدعة بل يعتبرها أن لا بأس بها وعلى العكس يعتبر البدعة الحسنة بدعة ضلالة، لا يهتدي إلى الطريق المستقيم . ونحن غيرنا أنفسنا تماما حيث نقول للمباحات والمستحبات بدعة وشركا ولا نجتنب عن المحرمات – والحقيقة – أننا قد أصبحنا هدفا للتشتت الفكري واللاسمية واستحوذ علينا أعداء الإسلام . ونبتعد عن أولياءنا ونقترب من أعدائنا– والأمر الذي يشكل تهديدا خطيرا على الأمة أن يقال لهم أن أسلافهم كانوا مشركين – كأن العصر الذي نتحدث عنه كعهد مشرق والتاريخ الذي نقول له تاريخ مضيئ للإسلام لم يكن كذلك و كان ذلك الزمان زمان الشرك والبدعة . وهذه فكرة موبقة تهلك الأمة بكل سرعة وتدفعها إلى السقوط والانهيار والحال أن الأمة تفقد حياتها الاجتماعية شيئا فشيئا ليست مثل هذه الفكرة من عند عطوف حنان بل أنها تبدو كجزء للمؤامرة الدولية . فاعتبروا يا أولى الأبصار .

(١) المسلمون الذين نقول لهم مشركين ومبتدعين كانوا يتولون بأمور الدنيا كلها قبل مائتى سنة تقريبا كانوا معتصمين بحبل الله جامعين شملهم وكان يخاف منهم اليهود والنصارى والكفار والمشركين . والحقيقة أن الفكر السليم يؤلف القلوب ويجمع المتفرقين ويعلو أبدا – وإن لم يكن ذلك الفكر سليما وصحيحا كيف كان الازدهار؟ – وأن تظن أن هذا الفكر صحيح فلماذا هذا التفريق . ويطلب العقل السليم الجواب على كون الأمة أذله وعبيدا.

(٢) والذين نعتبرهم مشركين ومرتكبين البدعة نجدهم أكثر حماسة وعاطفة لفداء أنفسهم على عرض الرسول صلى الله عليه وسلم – ويشهد التاريخ على تضحياتهم لا يستطيع أحد انكاره – وفي كل مكان يجرى الجهاد الإسلامي نجدهم في الصف الأول ومن المستحيل أن يقدر هذا النصيب السعيد لمشرك أو بدعي من التضحية ونداء النفس فى طريق الله ورسوله .

(٣) ومن نعتبرهم مشركين ما كانوا من حلفاء اليهود والنصارى والكفار المشركين ولم يطلبوا منهم المساعدة حيث يتعين على المشرك أن يحلف مع المشرك ويطلب منه المساعدة – وهذا الأمر يجدر الالتفات به .

لم يزل ولا يزال الجمع مع السلف الصالحين وأكابر الأمة كما قيل للمسلمين أن يكونوا مع الجماعة – وقد جاء في القرآن المجيد في سورة الفاتحة أن الهداية مع الذين أنعم الله عليهم والمطلوب الاهتداء بهديهم – ولا يمكن أن يضل من اهتدى بهديهم حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم باقتدائهم[١١٢]. ومن يخطو غير الطريق الإسلامي يحكم القرآن، فيهم :

ومن يتبع غير الإسلام دينا .. إلى آخر الآية [١١٣] .

ولقد تعاني المشاكل والتهديدات فقط لأجل إننا تركنا الحديث والقرآن ونصائح الأكابر بل تصدينا أن نهتهم بتذليلهم – ويفهم أن المؤامرة العالمية اصطادت المسلمين الساذجين وهم لا يفهمون ولا يفكرون في حقيقة الأمر –

لماذا يعتبر احتفال المولد النبوي بدعة فقط مع أن هذا يثير العاطفة الدينية ويبعث الروح في الجسد الميت ويوقظ الأباء الإسلامي وفوق كل شيء هذا أمر يشخص المسلم بسماة المسلم .

ويحاول أعداء الإسلام منذ ثلاثة قرون الماضية بتزهيد الأمة وإسئامها عن الإسلام والشعائر الإسلامية ويريدون أن يمسكوا زمام النظام العالمي بأيديهم – ويقلقون قلقا بالغا لمن يقولونهم مشركين وأصحاب البدعة – فقد غيروا القالب الحضاري والثقافي والعلمي والاجتماعي والسياسي كله ولم يبق إلا نظام العقيدة والفكرة والآن بدأت عملية نحوها فإن العقيدة والفكرة تلعب دورا هاما في تكوين الفرد والجماعة حيث قام الرسول صلى الله عليه وسلم بها بالثوراة العظيمة وأصبح القوم المغلوب غالبا والضال هاديا . وأعطى العالم تصورا مبتكرا للحكومة تقوم على العقائد والنظريات إزاء الحكومة الشخصية يتبعه العالم المعاصر وكفى يالأسف إن الأمة تجدد التنكار للحكومة الشخصية من خلال حكومة العباد على العباد والحق أن الأرض لله يورثها من يشاء والنتيجة أن كل إنسان في قلق عظيم وأنه حيران . ولو قمنا بإنشاء حكومة إسلامية والنظام الإسلامي لمصالح الإسلام والمجتمع ولكن خناس الأنانية لا يسمح للإنسان بأن يعيش . تعالوا إلى طريق يهدينا إلى الطراط المستقيم الذي ورد في سورة الفاتحة وسورة يَس [١١٤] وفي سورة الأنعام [١١٥] وفي سورة الزخرف والشورى والنور والحج والنحل . وكان يسلك أسلافنا هذا الطراط المستقيم وكل من اهتدى بهذا الصراط المتسقيم كلهم إخوة – ولا تقولوا لاخوتكم مشركين وأصحاب البدعة وتنكر وصية القرآن الحكيم [١١٦] "ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا" (سورة النساء : آية ٩٤) [١١٧] .

وما على الرسل إلا البلاغ المبين .

الدكتور محمد مسعود أحمد ٨ / جمادي الثاني ١٤١٥ هـ

٢٣ نوفمبر ١٩٩٢ م سندهـ كراجي

الهوامش

١ – سورة الرحمن : ٢٩ .

٢ – سورة الضحى : ٤ .

٣ – سورة البقرة : ١٥٤ .

٤ – سورة آل عمران : ٨١ .

٥ – سورة آل عمران : ٣١ .

٦ – سورة البقرة : ١٥٤ .

٧ –

٨ – مؤطا الإمام محمد ص : ١٠٤ .

٩ – سورة الحديد : ٢٧ .

١٠ – سورة البقرة : ١٢٥ .

١١ – المرقاة شرح لمشكاة المصابيح باب المواقيت الفصل الثاني ج ٢ ص: ١٢٤، شرح معاني الآثار ج ١ ص : ١٢٠ .

١٢ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٢ ص : ٨٣٦ طبعة لاهور .

١٣ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٢ ص : ٨٣٦ طبعة لاهور .

١٤ – سورة البقرة : ١٥٨ .

١٥– سورة البقرة : ١٨٤ .

١٦ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٣ ص : ٧٢٣ طبعة لاهور .

١٧ – الصحيح المسلم ج ٢ ص :١٣٣ .

١٨ – الجامع الصحيح للبخاري ج ١ ص : ٥٨٦ طبعة لاهور .

١٩ – الجامع الصحيح للبخاري ج ١ ص : ٥٠١ طبعة لاهور .

٢٠ – الصحيح المسلم ج ١ ص : ١٨٤ طبعة كراتشي .

٢١ – الجامع الترمذي ج ١ ص : ٣٣٤ طبعة كراتشي .

٢٢ – الجامع الصحيح المسلم ج ١ ص : ٣٣١ طبعة كراتشي .

٢٣ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٢ ص : ٨٥٤ طبعة دلهي، الجامع الترمذي ج ١ أبواب الطب طبعة كراتشي .

٢٤ – الجامع السنن لأبي داؤد، الجامع السنن للترمذي، نسائي، البخاري ج ١ ص : ٧٤٩ .

٢٥ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٢ ص : ١٠٩٧ .

٢٦ – مدارج النبوة ج ٢ ص : ٥٩٥ .

٢٧ – سورة الكهف : ٢١ .

٢٨ – سورة الأنفال : ٣٨، سورة إسراء : ١٧، سورة آل عمران : ١٣٧ ، سورة الأحزاب : ٦٢ .

٢٩ – كتاب الاقتضاء ص : ٦٧ .

٣٠ – الصحيح المسلم ج ٢ ص : ٢٨٦ .

٣١ – سورة الفاتحة : ٥ – ٧ .

٣٢ – سورة فصلت : ٢٤، سورة النساء : ٧٩، سورة القصص : ٨٤ ، سورة الشورى : ٢٣، سورة آل عمران : ١٢٠، سورة الأنعام : ١٦٠، سورة النساء : ٤٠، سورة البقرة : ٢٤٥ .

٣٣ – سورة القلم : ١٢، سورة المعارج : ٢١، سورة العاديات : ٨.

٣٤ – سورة يس : ١٢ .

٣٥ – سورة القلم ١٢، سورة المعارج : ٢١، سورة العاديات : ٨، سورة البقرة : ١٨٤، سورة النساء : ١٤٩ .

٣٦ – سورة البقرة : ٢٠٧، ٢٦٥ ، سورة النساء : ١١٤ .

٣٧ – سورة الضحى : ٥ .

٣٨ – الجامع الصحيح للبخاري ج ١ ص : ١٠١ طبعة لاهور .

٣٩ – عينى ج ١ ص : ٣٦٨ .

٤٠ – سورة الحجرات : ١٢ .

٤١ – سورة البقرة : ١١٧ سورة الأنعام : ١٠١ .

٤٢ – MAANZ. MADINA : ARABIC ENGLISH DICTIONARY COLUMBIA UNIVERSITY, NEW YORK, 1973 PAGE 43 - 44 المنجد فيروز اللغات، المعجم، المعجم الأعظم.

٤٣ – سورة الحديد : ٢٧، سورة البقرة : ١١٧، سورة الأنعام : ١٠١ ، سورة الأحقاف : ٩ .

٤٤ – سورة المؤمنون : ١٤ .

٤٥ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٢ ص : ١٠٨٠.

٤٦ – مشكاة المصابيح ج ١ ص : ٦٩ رواية عن مسلم .

٤٧ – مشكاة المصابيح ج ١ ص : ٢٤٢ المنقول من مسند أحمد، أبو داؤد، الترمذي، سنن ابن ماجة .

٤٨ – الصحيح البخاري ج ١ كتاب الإيمان باب الاعتصام بالكتاب والسنة ص : ٣٧١ .

٤٩ – الجامع الصحيح للبخاري ج ١ ص : ٣٧١، الجامع الصحيح المسلم ج ٢ ص : ٧٧ مشكاة المصابيح كتاب الإيمان باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

٥٠ – سورة النساء : ٤٣ .

٥١ – سورة البقرة : ٢٦٠ .

٥٢ – الطبقات الكبرى – تاريخ الخميس ج ٢ ص : ٣٥ .

٥٣ – الجامع الصحيح المسلم كتاب المساجد ص ١٠٧ .

٥٤ – سورة البقرة : ١٢٩ – ١٥١، سورة آل عمران : ١٦٤ سورة الجمعة: ٢ .

٥٥ – سورة انشراح : ٤ .

٥٦ – مشكاة المصابيح كتاب الأطعمة باب آداب الطعام الفصل الثاني .

٥٧ – مشكاة المصابيح ٧٠ المأخوذ من دار قطني كتاب الإيمان باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

٥٨ – سورة المائدة : ١٠١ .

٥٩ – الجامع السنن للترمذي ج ١ ص : ٤٠١، الجامع الصحيح المسلم ج ٣ ص : ٤٠٣ .

٦٠ – سورة النحل : ١١٦ .

٦١ – الجامع الصحيح للبخاري ، باب قيام رمضان .

٦٢ – مشكاة المصابيح باب الاعتصام .

٦٣ – عقائد إسلام لعبد الحق الحقاني طبعة دلهي عام ١٢٩٢ هـ .

٦٤ – عقائد إسلام لعبد الحق الحقاني طبعة دلهي عام ١٢٩٢ هـ .

٦٥ – عقائد إسلام لعبد الحق الحقاني طبعة دلهي عام ١٢٩٢ هـ .

٦٦ – عقائد إسلام لعبد الحق الحقاني طبعة دلهي عام ١٢٩٢ هـ .

٦٧ – الشاطبي كتاب الاعتصام .

٦٨ – سورة الحديد :

٦٩ – اتحاف السادة المتقين للزبيدي، طبعة بيروت ج ٨ ص : ٥٣٩ كشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص : ٤٩٥ .

٧٠ – سورة البقرة : ٢٠١ .

٧١ – الشمائل للترمذي ص : ٩ طبعة لاهور .

٧٢ – قد أورد أحمد بن محمد بن الصديق الغمازي الحسني كثير من البدع المخترعة واستخرجها من كتب الأحاديث في تأليفه "مطابقة الاختراعات العصرية فما أخبر به سيد البشرية" . ونقله أحمد ميان البركاتي إلى الأردوية لعنوان "اسلام اور عصري ايجادات" طبعة لاهور عام ١٩٩٨ (مسعود أحمد المصنف) .

٧٣ – سورة آل عمران : ٣١ .

٧٤ – سورة النساء : ٨٩، سورة آل عمران ٢٨ – ١٣٩، سورة المائدة ١٥١، سورة العنكبوت : ٤١، سورة الممتحنة : ١ .

٧٥ – السنن للنسائي ج ٢ ص : ٢٧٤ .

٧٦ – الجامع الصحيح المسلم ج ٢ ص : ٢٥٩ .

٧٧ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٢ ص : ٨٧٥، السنن لأبي داؤد ج ١ ج ص : ١٢٢ ، الصحيح المسلم ج ص : ١٢٩ .

٧٨ – سورة الأحزاب : ٣٣ .

٧٩ – سورة النور : ٣١ .

٨٠ – سورة الأحزاب : ٥٩ .

٨١ – سورة النور : ٣١ .

٨٢ – تالستائي ببغمبر اسلام ص : ٤٤ طبعة لاهور عام ١٩٢٠ .

٨٣ – طبقات ابن سعد ج ٨ ص : ٤٩ .

٨٤ – سورة الإسراء : ٢٦ ، ٢٧، سورة الأعراف : ٣١، سورة الأنعام : ١٣١ .

٨٥ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٢ ص : ٨٧٤ .

٨٦ – الجامع السنن للترمذي ص : ٣٩٦ .

٨٧ – مسند أحمد بن حنبل .

٨٨ – الجامع السنن للنسائي .

٨٩ – سورة هود : ٦ .

٩٠ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٢ ص : ٧٨٤ .

٩١ – سيرة لابن هشام ج ٢ ص : ٢٨٤ .

٩٢ – الجامع الصحيح المسلم ج ٢ ص : ٢٠١ ، السنن لأبي داؤد ج ٢ ص : ٢١٧ .

٩٣ – الجامع الصحيح للبخاري ج ٢ ص : ٨٨٠ .

٩٤ – السنن للنسائي ج ٢ ص : ٢٥٦ .

٩٥ – الجامع للترمذي ص : ٣٦٩، ابن ماجة ص : ٢٦٨ ، سنن أبـي داؤد ج ٢ ص ٢١٧ .

٩٦ – سورة المريم : ١٥ .

٩٧ – ابن أثير أسد الغابة ج ١ ص : ٢١، ٢٢ .

٩٨ – المكتوب للإمام الرباني دفتر رقم المكتوب ١٠٦ .

٩٩ – مشكاة كتاب الأدب باب البيان والشعر رقم الحديث : ٢ .

١٠٠ – مشكاة كتاب الأدب باب البيان والشعر رقم الحديث : ٥ .

١٠١ – مشكاة كتاب الأدب باب البيان والشعر رقم الحديث : ١٠ .

١٠٢ – مشكاة كتاب الأدب باب البيان والشعر رقم الحديث : ٩ .

١٠٣ – ابن كثير ميلاد مصطفى ص : ٢٩ ، ٣٠ .

١٠٤ – مدارج النبوة ج ٢ ص : ٤٤٠ لعبد الحق المحدث دهلوي .

١٠٥ – سورة الصفت : ١ .

١٠٦ – أخبار الأخيار ص : ٢٦٤ (بالأردية) أخبار الأخيار (بالفارسية) ص ٣٠٩ طبعة دلهي عام ١٣٠٩ .

١٠٧ – مشكاة المصابيح كتاب الصلاة الفصل الثاني رقم الحديث ٢ .

١٠٨ – مشكاة المصابيح باب صفة الصلاة رقم الحديث ١٠ .

١٠٩ – كتاب الدعوات الفصل الثاني رقم الحديث ٢٣ .

١١٠ – ابن ماجة باب رفع اليدين في الدعاء ص : ٢٨٤ – البخاري كتاب الدعوات رفع اليدين في الدعاء ج ٢ ص : ٩٣٨ .

١١١ – سورة الأنعام : ١١٩ .

١١٢ – سورة الزخرف : ٤٣ .

١١٣ – سورة الشورى : ٥٢ .

١١٤ – سورة النور : ٤٦ .

١١٥ – سورة الحج : ٥٤ .

١١٦ – النحل : ١٢١ .

١١٧ – سورة النساء : ٩٤ .

محمد رسول الله
والذين معه
أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا
ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾

سورة الحديد آية : ٢٧

محدثات الأمور

للأستاذ الدكتور محمد مسعود أحمد

ترجمة إلى العربية :

دكتور مفتي محمد مكرم أحمد

أستاذ اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية نيو دلهي ١١٠٠٢٥

والإمام الملكي للمسجد الجامع فتحفوري الإمبراطوري دلهي (الهند)

سلسلة الاشاعة والنشر الدولي رقم ٥

قام بالطبع والإشاعة في باكستان :

مطبعة إدارة مسعودية ٢ / ٦، ٥ إى ناظم آباد كراتشي -

سندھ - إسلامي جمهورية باكستان

اور سچوں کے ساتھ ہو جاؤ
Idara-e-Mas'udia, Karachi
ادارہ مسعودیہ کراچی